﴿۞فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ٧٤﴾ [النّساء: 74]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذمَّ تعالى المبطِّئين في الجهاد؛ عاد إلى التَّرغيب فيه[1] للمؤمنين الَّذين يؤثرون ما عند الله تعالى في دار الجزاء على الكسب والغنيمة، وعلى الفخر بالقوَّة والغلب[2]، ولمَّا بيَّن أنَّ محطَّ حال القاعد عنِ الجهاد الدُّنيا؛ عُلِم أنَّ قصد المجاهد الآخرة، فسبَّب عن ذلك قوله: ﴿۞فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَشۡرُونَ﴾: الشِّينُ والرَّاءُ والحرف المعتلُّ: أصولٌ ثلاثةٌ: أَحدُها يدلُّ على تعارضٍ مِنَ الاثنين في أَمرَينِ أَخذًا وإِعطاءً ومُماثلةً، وهو قولهم: شَرَيتُ الشَّيءَ واشتَرَيتُه؛ إِذا أَخَذته مِن صاحِبه بثمنه، ورُبَّما قالوا: شَرَيتُ، إِذا بِعتُ[4]؛ لأنَّ الشِّراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثَّمن، وآخذ المُثمَّن، والبائع دافع المُثمَّن، وآخذ الثَّمن[5].

ومنَ المماثلة جاء معنى الشِّراء المشهور؛ وذلك للمماثلة بين المُشترَى وثمنه في القيمة، علمًا بأنَّ هذه المعاملة بدأت مبادلة؛ ولهذا استُعمل اللَّفظ في البيع والشِّراء معًا؛ لأنَّ الأمر يؤول إلى شيء بمثله، وكلُّ ما جاء في القرآن الكريم مِنَ الفعل (شرى يشري)؛ فالمراد به البيع، والفعل (اشترى - يشتري) يراد به الاشتراء بالمعنى المشهور، أي: أخذ السِّلعة، ودفع الثَّمن[6].

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/140.
(2) رضا، تفسير المنار: 5/209.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/326.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شرى).
(5) الرَّاغب، المفردات: (شرى).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (شرى).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

شـرف الجـهـاد في سـبـيـل الله حـقـيـقٌ بـمـن يـشـري الـدُّنـيـا بالآخرة

يحثُّ اللّٰه المتقدِّمين للقتال في سبيل اللّٰه كي تكونَ كلمة اللّٰه هي العليا، الَّذين لا ينظرون إلى مغنم يبتغونه، ولا مال يريدونه، وهم المؤمنون الصَّادقون الَّذين يبيعون الحياة الدُّنيا ومتعها وشهواتها رغبةً عنها، بالآخرة رغبة فيها، ومن يقاتلْ في سبيل اللّٰه؛ لتكون كلمته هي العليا، فيُقتلْ شهيدًا، أو يظهَرْ على عدوِّه، ويظفر به، فسيعطيه اللّٰه ثوابًا عظيمًا، وهو الجنَّة وما فيها من جنَّات وعيون، ونعيمُها ثابت دائم، ومعها رضوان اللّٰه[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى: أنَّ الَّذين يعيشون مع جماعة المؤمنين، ولا يحسُّون بإحساسهم، لا يخرجون إلى قتال، وإنَّما يخرج إلى القتال الَّذين يؤثرون على أنفسهم، ويقدِّمونها للّٰه تعالى رجاء ما عنده، فهؤلاء هم القوَّة، وهم العماد في الحروب والشَّدائد[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بيان وصل الآية بما قبلها بالفاء:

الحثّ على ترك ما حكي عنهم آنفًا

الفاء: إمَّا للتَّفريع، تفريع الأمر على الآخر، أي: فرَّع ﴿*فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ﴾

الـفـاء هـي الـفـصـيـحـة، أفـصـحـت عـمَّـا دلَّـت عـلـيـه الآيـة السَّـابـقـة

وإمَّا هي فاء فصيحة، أفصحت عمَّا دلَّ عليه ما تقدَّم من قوله: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾؛ لأنَّ جميع ذلك اقتضى الأمر بأخذ الحذر، وهو مهيِّأٌ لطلب القتال، والأمر بالنَّفير، والإعلام بمن حالهم حال المتردِّد المتقاعس، أي: فإذا علمتم جميع ذلك، فالَّذين يقاتلون في سبيل اللّٰه هُمُ الَّذين يشرون الحياة الدُّنيا بالآخرة لا كل أحد[3].

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1760، جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 89.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1760.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 5/121.

الفاء للتَّعقيب؛ لـــــترك مـا كـانـوا عـليـه مـنَ التَّثبيط، ولـيـعـقِّـبـوه بالقتال في سبيل الله

يصحُّ في الفاءِ أن تكون في جوابِ شرطٍ مقدَّرٍ، أي: إنْ بطَّأ هؤلاءِ عنِ القتال؛ فليقاتِلِ المُخلِصون الباذلون أنفسَهم في طلب الآخرة، أو الَّذين يشترونها، ويختارونها على الآخرة، وهم المبطِّئون، فالفاءُ للتَّعقيب، أي: ليتركوا ما كانوا عليه منَ التَّثبيط والنِّفاق، وليعقِّبوه بالقتال في سبيل الله[1]، و﴿فَلْيُقَٰتِلْ﴾: أمرٌ لمَن يُبَطِّئ، وهم الَّذين يشرون، فحُثُّوا على ترك ما حكي عنهم في الآية المتقدِّمة، وأن يجاهدوا في سبيل الله[2].

فائدة تقديم الظَّرف على الفاعل:

قدَّم الظَّرف على الفاعل للاهتمام به

في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أمرٌ للمؤمنين، وقدَّم الظَّرف على الفاعل للاهتمام به، والعناية بمضمونه[3].

العناية بالظَّرف للتَّنبيه على أنَّ هذا النَّوع منَ القتال هو المعتدُّ به عند الله

قوله ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تنبيه على أنَّ هذا النَّوع منَ القتال هو المعتدُّ به عند الله تعالى؛ لأنَّ المؤمن الصَّادق لا يقاتل من أجل فخر، أو مغنم، أو اغتصاب حقِّ غيره، وإنَّما يقاتل من أجل أن تكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الَّذين كفروا هي السُّفلى[4].

بيان الاستعارة في لفظ السَّبيل:

استعارة السَّبيل لـــديـــن الـلـــه بجامع الاهتداء إلى المقصود

قوله: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ: حيث استعار السَّبيل الَّذي هو محلُّ المرور لدين الله بجامع الاهتداء إلى المقصود[5].

علَّة إسناد القتال إلى الَّذين يشرون الحياة الدُّنيا بالآخرة:

إسناد القتال المأمور به إلى أصحاب هذه الصِّلة وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ للتَّنويه بفضل المجاهدين في سبيل الله، والثَّناء عليهم، وتحقير المبطِّئين؛ لأنَّ في الصِّلة إيماءً إلى علَّة

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/201.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 3/1322.
(3) الشّوكانّي، فتح القدير: 1/562.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 3/217.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 14/356، والإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/245.

الخبر، أي: يبعثهم على القتال في سبيل الله بذلهم حياتهم الدُّنيا لطلب الحياة الأبديَّة، وفضيحة أمر المبطِّئين حتَّى يرتدعوا عنِ التَّخلُّف، وحتَّى يكشف المنافقون عن دخيلتهم[1].

الإسنادُ للتَّنويهِ بفضل المقاتلين في سبيل الله، وتحقيرِ المبطِّئين

نكتة الاكتفاء بذكر غايتي حالتي المجاهد:

وصفَ اللهُ ثوابَ المقاتل في سبيل الله، فذكرَ غايتي حالتيه، واكتفى بالغايتين عمَّا بينهما كالأسر مثلًا، وذلك أنَّ غاية المغلوب في القتال أن يُقتَل، وغايةَ الَّذي يَقتُل، ويَغنم أن يتَّصف بأنَّه غالبٌ على الإطلاق[2]، وإذا كان الأجرُ حاصلًا على كلا التَّقديرين لم يكن عملٌ أشرفَ مِنَ الجهاد في سبيل الله[3].

غاية المغلوب في القتال أن يُقتَل، وغايةُ الَّذي يَقتُل، ويَغنم أن يتَّصف بأنَّه غالبٌ

اقتصر على القتل والغلبة فحسْبُ، ولم يزد: أوْ يُؤْسَرْ؛ إبايَةً من أن يذكر لهم حالة ثالثةً ذميمة لا يرضاها الله للمؤمنين، وهي حالة الأسر، فسكت عنها؛ لئلَّا يذكرها في مَعرِض التَّرغيب، وإن كان للمسلم عليها أجر عظيم أيضًا إذا بذل جهده في الحرب فغلب؛ إذِ الحرب لا تخلو من ذلك[4].

لم يزد حالةَ الأسر تأبِّيًا مِنْ أنْ يذكرَ حالةً ذميمةً لا يرضاها الله للمؤمنين

علَّة تعقيب القتال بالقتل، أو الغلبة:

لم يقتصر على قوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، بل عقَّبه بقوله: ﴿فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾؛ تنبيهًا على أنَّ من تحرَّى القتال سواء قَتَل أم قُتِل، غَلَب أم غُلِب، فقد وقع أجرُه على الله[5].

التَّنبيهُ على أنَّ من تحرَّى القتال؛ فقد وقع أجره على الله

في تعقيب القتال بأحد الأمرين تنبيهٌ على أنَّ المجاهد ينبغي أنْ يثْبتَ في المعركة حتّى يُعِزَّ نفسه بالشَّهادة، أو يُعِزَّ الدِّين بالظَّفر والغلبة، وألَّا يكون قصده بالذَّات إلى القتل، بل إلى إعلاء الحقِّ

التَّنبيهُ على وجوب الثَّبات في المعركة حتَّى ينال الحُسنيين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/121 - 122.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/78.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/140.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/122.
(5) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 3/1323.

وإعزاز الدِّين[1]، والإشعار بأنَّ المجاهدَ حقُّه أن يوطِّن نفسَه بنيل إحدى الحُسنيين، ولا يخطرَ بباله القسمُ الثَّالثُ أصلًا[2]، وحثُّه على الثَّبات، ولو كان العدوُّ أكثر منَ الضِّعف[3].

بيان تقدير الكلام بـ(يَقتُل أو يُقْتَل):

دفـــعُ تـــوهُّـــم الـسَّـــامـــع أنَّ التزام الغلبة في المعركة في كلِّ حال سائغ

قُدِّرتِ الجملة في وجهٍ بمعنى: (يَقتل أو يُقتل أو يغلِب)؛ لئلَّا يتوهَّم السَّامع أنَّ التزام الغلبة، والبَراح منَ المعركة في كلِّ حال سائغ[4].

بيان العدول منَ الوعد على القتال إلى القتل أو الغلبة:

الـــوعـــد عـلى القتال وعدٌ على مـا يـفـضي إليه من قتل وغلبة

الوعد مِنَ الله تعالى على القتال، وجُعل على القتل أو الغلبة؛ لأنَّ القتال يفضي غالبًا إلى القتل، فصار الوعد على القتال وعدًا على ما يُفضي إليه، والقتال على ما يستحقُّه منَ الوعد؛ إذ أفضى إلى القتل، والغلبة أعظم[5].

بلاغة المجاز والاستعارة في لفظ الشِّراء:

استبدال الحياة الدُّنيا بالآخرة مـجـاز مُـرسَـل علاقته الإطلاق، أو استعارة

والشِّراء – ها هنا – مَجَاز عنِ الاستبدال، بمعنى: أنَّهم لمَّا تركوا الحياة الدُّنيا، وآثروا الآخرة؛ جُوزُوا أجرًا عظيمًا، واستُعمل ﴿يَشْرُونَ﴾ هنا في معنى البذل والاستبدال مجازًا، والمعنى: ومنَ النَّاس من يبذل نفسه للهلاك في سبيل الله، أي: هلاكًا في نصر الدِّين، وهذا أعلى درجات الإيمان؛ لأنَّ النَّفس أغلى ما عند الإنسان[6].

أو هو استعارة مكنيَّة، حيث يبيعون الفانية بالباقية، فاستُعير لفظ الشِّراء للمبادلة، وهو من لطيف الاستعارات[7].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/84.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/201.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/327.
(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 3/1323.
(5) الماورديّ، النّكت والعيون: 1/506.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/273.
(7) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/244.

براعة التَّعبير بلفظ الشِّراء على طريق الأضداد:

﴿يَشْرُونَ﴾ مضارع شَرَى، ويكون بمعنى: (باع واشترى) منَ الأضداد، فإن كان بمعنى (يشترون)، فالمراد منَ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾: المنافقون الَّذين أُمروا بترك النِّفاق، والمجاهدة معَ المؤمنين، والفاء للتَّعقيب، أي: ينبغي بعد ما صدر منهم منَ التَّثبيط والنِّفاق تركُه، وتدارك ما فات منَ الجهاد بعد، وإن كان بمعنى: (يبيعون)؛ فالمراد منه المؤمنون الَّذين تركوا الدُّنيا، واختاروا الآخرة، وأُمروا بالثَّبات على القتال، وعدم الالتفات إلى تثبيط المبطِّئين[1].

عـــلى مـعـنـى يشترون؛ فالمراد المنافقون، وعلى معنى يبيعون؛ فالمراد المؤمنون

نكتة تقديم القتل على الغلبة:

قدَّم القتلَ على الغلبة للإيذان بتقدُّمه في استتباع الأجر، روى أبو هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "تكفَّل الله تعالى لمَن جاهد في سبيله لا يُخْرِجُه إلَّا جهادٌ في سبيله، وتصديقُ كلمتِه أن يُدخِلَه الجنَّةَ، أو يُرجِعَه إلى مسكنه الَّذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة"[2].

تـقـديـمُ الـقـتـل لـلإيـذان بـتقدُّمه في استتباع الأجر

قدَّم سبحانه القتل على الغلب؛ للإيذان بأنَّ حرص المجاهد المخلص على الاستشهاد في سبيل الله أشدُّ من حرصه على الغلب والنَّصر[3].

لـــلإيـــذان بـــأنَّ حـرص المجاهد على الاستشهاد أشدُّ من حرصه على الغلب

أشرف الحالتين ما بُدِئَ به من ذكر الاستشهاد في سبيل الله، ويليها أنْ يقتلَ أعداء الله، ودون ذلك الظَّفر بالغنيمة، ودون ذلك أن يغزو، فلا يصيب، ولا يُصاب، ولفظُ الجهاد في سبيل الله يشمل هذه الأحوال[4].

البـدء بـأشـرف حالات الجهاد

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 5/81.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/201، والحديث أخرجه البخاريّ في صحيح برقم: (3123)، ومسلم، الحديث رقم: (1876).
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 3/218.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/307.

نكتة التَّعبير بحرف التَّنفيس:

أجرُ يوم القيامة للمقاتل في سبيل الله عظيمٌ

ذهب ابن عرفة إلى أنَّ التَّنفيس إنَّما هو في الأجر العظيم لا في مُطلَق الأجر، أي: سنؤتيه يوم القيامة أجرًا عظيمًا[1].

التَّنفيس لتأكيد نيل الجزاء في المستقبل

و(سوف) هنا لتأكيد نيل الجزاء (الأجر العظيم) في المستقبل، وأكثر استعمالاتها في القرآن لتأكيد الوقوع في القابل، ولذا لا تدخل على النَّفي[2]، وربَّما دلَّ التَّعبير بـ ﴿فَسَوْفَ﴾ على طول عمر المجاهد غالبًا[3].

بلاغة التَّعبير بنون العظمة، والالتفات من ضمير الغائب إلى المتكلِّم:

العظمة مظنَّة عِظَم المجازاة، وحتميَّة تحقُّقه

انتقل من قوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ عن طريق الالتفات من ضمير الغائب (هو) إلى ضمير المتكلِّم (نحن) المعظِّم نفسه بنون العظمة[4]، المناسب لِعِظَم عطاياه، ومِنَحه، وهباته جزاءً لمن يشري أعزَّ ما يملك في سبيل الله، والإشارة إلى حتميَّة تحقُّقه بوعد لا خُلْف فيه بما له منَ العظمة المحيطة بالخير والشَّرِّ[5].

نكتة تنكير الأجر، ووصفه بالعِظَم:

الإشعار بأنَّه أجرٌ عميمٌ لا يُحيط بمقداره تعيينٌ أو تعريفٌ

نكَّر - سبحانه - الأجرَ ووصفَه بالعِظَم؛ للإشعار بأنَّه أجرٌ لا يحدُّه تعيينٌ، ولا يبيِّنه تعريفٌ، مهما يكن دقيقًا لا يُقادَرُ قَدرُه، ولا يعلم مقداره إلَّا الله تعالى[6]، جزاءَ الاجتهاد في إعزاز دين الله[7] ﷻ.

وصف الأجر في قوله: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بالعظيم

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/39.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1761.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/327.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/201.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/326.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/201، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1761، طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 3/218.
(7) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/327.

عِظَمه بوصفه ثوابًا للآخرة، اعتبارًا بعرَض الدُّنيا

من حيث كونه ثوابًا للآخرة، اعتبارًا بعرض الدُّنيا، كما وصف الثَّمن بالقليل[1].

ترغيبٌ في القتال، وتكذيبٌ لمقالة المُنافقينَ

وعدَ الله المؤمن بالأجر العظيم غَلَبَ أو غُلِبَ؛ ترغيبًا له في القتال وتكذيبًا لقولهم: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: 72][2].

(1) الرَّاغب، تفسير الرّاغب: 3/1323.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/84.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»